# سلّم الطاغية

. عـــامـــر الـدبـك ❖ .

## درجة ١

هو هكذا
في البدءِ يَصْعد سُلَّمهْ
بخطًى يحكّمُ وقعَها لتحكّمهْ.
يأتي على كتفِ انقلابٍ
أبيض أو أحمرٍ
أو بين بينْ؛
ولربّما يأتي كقائد ثورةٍ
مِنْ خلفِه جمعٌ يصفّق
بالشفاهِ وباليدينْ؛
أو وارثٍ للعرش
يأتي عين عينْ
ليقولَ: «يا شعبي، أنا
لا طامعٌ بالعرش لا
أو بارتداء الأوسمهْ،
ولسوفَ سوف
وسوفَ سوفَ وسوفَ سوف...»
وُعودُهُ ملأتْ فمهْ!
في مطلقِ الأحوال
يأتي زاعمًا
أنّ الزعامة لم تَدُرْ في خلدِه يوما
ولكنّ الإرادةَ والمشيئةَ
كانتا شعبًا
أراده فاصطفاهُ وزَعّمهْ!

### خلوة

في خلوةٍ أُولى له بعد الجلوس،
بالضبطِ فوق سريرِه
في غرفةِ النومِ الجديدة،
قرب زوجته يقول محدِّثًا ظلاً له:
«لو تدري يا شعبي العزيز
بما يُخبئه الغدُ
لو تدري (يضحك)
ما هتفت
ولم تصفّقْ لي يدُ.
نم ياحبيبي
فالكلامُ مخدِرٌ
من قبلُ جَرَّبَه الذين تأبّدوا.
كُلْ مِنْ حلاوةِ ما وعدتُك
ما وعدتُ سوى لأصعدَ
بعدَها فليأتِ (يضحك)
يا عزيزي الموعدُ!
وعدٌ على وعد على وعد
وتَسْكنك الوعودُ... وأصعدُ!»

### درجة ٢

عام،
وتحتفل الجموعُ وتهتفُ.
عامان،
تحتفل الجموعُ وتهتفُ.
ويمرّ عامٌ إثر عامٍ إثر عام،
والكلُّ ينتظر الوعودَ ويهتفُ.

### قناع

«حريّة،
وفضاءُ أحلامٍ بوسع الأفق،

❖ - شاعر من سوريا والأمانة تقتضي من رئاسة تحرير الآداب القول إنّ هذه القصيدة وصلتْها بعيْد سقوط بن عليّ ومبارك، وقبل بدء انتفاضاتٍ عربيّةٍ أخرى

أفقٌ شاسعٌ لن نلجمهْ.
رأيٌ
يوافقُ أو يعارِضُ أو يجادل.
لا رقابة لا قيود ولا سجون
ولا شفاه مكمَّمهْ.
أنا واحدٌ منكم،
أبي مِنْ نسل فلاّح،
وأمّي ربما كانت أَمَهْ.
أنا لا أَرى إلاّ بأعينِكم!
سنبني
ما استطعتُ وما استطعتم
لا إرادة إلاّ ما أنتم تريدونَ...
الإرادةُ للشعوبِ محتّمة.»

**حقيقة**

« حرية...!!!
لن تعرفوها
لن تذوقوا طعمَها
فلكم طريقٌ واحدُ:
أن تهتفوا لي!
دونَ ذلك فالدروبُ محرّمهْ.
رأي...!!!
هنا لا رأي إلا ما أريدُ وما أشاء
ومَن يحاول أن يفكّر
بالقضايا المبهمهْ
فوعزتي
فوعزتي
لن أرحمَهْ!
أعددتُ منذ البدء،
يا شعبي العزيز،
لَكَ السجونَ المعتمهْ!»

**درجة ٣**

عشرون عامًا أو تزيد
والحاكمُ الفردُ الوحيد
يراوغُ الشعبَ الحزين
بخطبةٍ عصماء
قيل بأنّها مِنْ فيضِ حكمتِه
التي قالت صحافتُه بأنها ملهمهْ.

**قناع**

« يا شعب أنتَ الحاكمُ
أنا الحكيمُ الملهَمُ
وأنا بكلّ إرادتي لك خادمُ
ولسوفَ سوف
وسوفَ وسوف
وهذا وعدٌ حاسمُ!
سأُقيلُ مَنْ عاثوا فسادًا في البلاد
ليَعْلموا
أني ابنُ هذا الشعب،
بَرٌّ بالعهودِ وبالوعود.
وإذا تألّم واحدٌ في قريةٍ منسيّة
أتألّمُ!»

**حقيقة**

« أنا مذْ صعدتُ إلى هنا
أقسمتُ لن أتزحزحا
ولسوف أطحنُ مَنْ يعارضُ
بالرّحى!
ستصفّقون برغمكم،
وستهتفونْ.
بالجوع ألجمُ غدرَكم لأطوِّحهْ.
أنا لا أرى غيري وحاشيتي،
وأنتم ممسحهْ!

حولي رجالٌ يسبِّحون بنعمتي،
ويسبّحون بسطوتي،
دَجّجتُهم بالأسلحهْ.
أنا لا أخاف، فكلُّ ملْكي آمن.
وإذا تمرّدتم قليلاً أو كثيراً،
لا أبالي أن تكون المذْبحهْ!»

**درجة ٤**

في كلّ زاويةٍ له عينٌ وجندُ
تُحصي له أنفاسَ مَنْ يتنفّسون.
ساحاتُه نصُبٌ،
شعاراتٌ،
ووعدُ،
خوفٌ ورعبٌ مستبدٌّ.
والناسُ حيرى لا تصدّ ولا تردُّ.

**قناع**

«خمسٌ وعشرون انقضت
وأنا بهمّي مثقلُ.
مِنْ أجلِكم ليلاً نهاراً أعملُ!
ووعدتُكم ـ
الوعدُ دَيْنٌ عنه يوماً أُسألُ ـ:
خبزٌ وفيرٌ في البلادْ،
ولا مكامن للفسادْ،
لا للبطالة
لا تسوُّل في الشوارع والأزقّةِ للعبادْ.
ولسوفَ سوف
وسوفَ سوف
حياتُكم تتبدّلُ.
فابني الوحيد
على خطايَ يسيرُ لا يتحوّلُ؛
أعددتُه صلباً قويًّا
يسعى لا يتململُ.
كونوا كما كنتم معي
مِنْ خلفِه وتأمّلوا؛
فلربّما يوماً تَسلَّمَ موقعي
كي يُكملَ الدربَ الطويل
وتُكملوا.»

**حقيقة**

«ستصفّقون وتهتفونْ،
وعلى الرغيف تفتّشونْ.
فالعرشُ عرشي،
والبلادُ ورثتُها،
وإذا رحلتُ
فخلفَ إبني تَرْكعون
وتَسْجدونْ!
فلقد زرعتُ جلودَكم بالمُخْبرينَ،
وفي أسرَّتِكم
زرعتُ لكم عيونْ.
ليلي وليلُ ابني مجونٌ في مجون!
فنساؤكم مشغولةٌ بالتّرهات،
شيوخُكم متنسِّكونْ،
وشبابُكم بمخدِّراتي مدمنونْ.
أنا آمنٌ،
فالكلُّ لا يتنفّسونْ.
أرهبتُكم،
فرّقتُكم،
أَلْبَتُّكُم،
وجعلتُكم مِنْ بعضِكم تتوجّسونْ:
فالإبنُ يُخْبرُ عن أبيهِ
وعن أخيهْ،
وأبٌ يخبر عن بنيهِ
لأصطفيهْ،
كلٌّ يخبّر عن ذويهْ
لكي يكونْ.»

**درجة ٥**

هو هكذا يمضي ليصعدَ سُلَّمهْ،
يطأ الثرى ويداه تقطفُ أنجمهْ.
هو سيّدٌ فردٌ تفرَّد بالبلادِ وبالعباد
لكي يتُمّ الملحمهْ.

**خلوة**

وبلحظةٍ غاب الزعيمُ بقصره
خلف الغموض.
بابٌ تغلَّق خلف بابْ
لم يحتفلْ بالأربعين على تسلُّم عرشه.
قال ابنُه:
«هي خلوةٌ ويعود مكتملَ الإهابْ».
قال الدُعاة الآكلونَ الشاربونَ
العاكفونَ على إطاعة أمرِه:
هو سيّدٌ وخليفةٌ في الأرض
قد يوحَى إليهْ،
لا تقلقوا أبداً عليهْ،
لا شكّ يخرجُ والرسالةُ في يديهْ.

**حقيقة**

«شعبٌ غبيٌّ
سوف يَعرف مَنْ أنا
ولسوف يعرف
مَنْ تمرَّد أنّ ظهري ما انحنى.»

**درجة ٦**

صمتٌ على كلّ البلاد مخيِّمُ
والكلُّ يسكن في الحِداد ويَلْطمُ
قُتل الذين تمرَّدوا
وتشرَّد الباقون حيث تشرَّدوا.
قُتِل الغدُ!

**الرسالة**

«أنا سيّدُ الأرض الذي لا يُقهرُ
المجدُ الذي فاق الخيال.
أنا الزعيمْ،
وأنا التجبُّر والمقدَّرُ والمقدِّر والمعمِّرُ
والمعلِّمُ والعليمْ.
وأنا المدبِّرُ والمحرِّرُ والمصوِّرُ والحقيقةُ
والمجازُ، أنا المعظَّمُ والعظيمْ.
وأنا المُذلّ، أنا المعزُّ، أنا الجليلُ، أنا
البدايةُ والنهايةُ والجديدُ، أنا القديمْ.
وأنا البعيدُ، أنا القريبُ، أنا السميعُ،
أنا المجيب، أنا المحكمُ والحكيمْ.
وأنا العنيدُ، أنا العتيد، أنا المقيمُ
اللامقيمْ.
وأنا الإلهُ!
فيا عبادي، سبّحوني، واعبدوني
كالصراط المستقيمْ!»

**درجة ٧**

**(إيقاع مختلف)**

ستسقط يا أيّها المستبدُّ
سقوطُكَ حتمٌ وما منه بدُّ.
ستَسْقطُ مثلَ جدارٍ قديم
يكابِرُ والريحُ للريحِ غمدُ.
ستَسْقط من شاهقِ الوهمِ وهما
وكالظلِّ خلفَ ظلالِكَ تعدو.
ستسقط مهما تجبَّرتَ حتما
لأنَّك ـ مذْ كنتَ ـ للروحِ قيدُ.
ستسقطُ والعرشُ يصبح قبرا
كقبرِك أنتَ، وقبرُك حقدُ.
ستسقطُ قد لا تصدِّق، لكنْ
ستسقطُ يا أيّها المستبدُّ.
فلستَ إلهًا لتبقى وحيداً
ولا شعبُك الحرُّ في الأرضِ عبدُ!

**سوريا**